إعادة قراءة معين العطاء الحضاري للعرب والمسلمين وفق رؤية تستوعب شروط الإبداع التاريخية والأيديولوجية

الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية خلال العصر الوسيط

- المؤسسات العلمية كالمساجد والمدارس والمكتبات شكلت محضناً مهماً وواسعاً لتخريج الفقهاء والأدباء والعلماء
- قرطبة مثلت قطب الرحى في النشاط العلمي باعتبارها حاضرة الخلافة ودار الملك
- المجالس التي كانت تعقد بالجوامع وقصور الأمراء ومنازل العلماء أسهمت بدور كبير في إيقاد جذوة النهضة العلمية
- علماؤنا المسلمون قطعوا أشواطاً مهمة بميادين العلوم الرياضية والطبيعية سبقوا في ذلك الكثير من علماء النهضة الأوروبية

تأليف : الدكتور نواف عبدالعزيز الجحمة
عرض وتحليل
السيد أحمد المخزنجي

في إطار القراءة المتأنية والدعوة للتزود بروح المنهج العلمي، وإعادة قراءة معين العطاء الحضاري للعرب والمسلمين، وفق رؤية تستوعب شروط الإبداع، التاريخية والأيديولوجية.. صدر كتاب (الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية خلال العصر الوسيط) للدكتور نواف عبدالعزيز الجحمة.

يقع في (250 ص) مائتين وخمسين صفحة من القطع الصغير مقاس (20 x14 سم) ويحتوي على خمسة مباحث، ومقدمة وخاتمة، إضافة إلى ملحق الصور وفهرس المصادر والمراجع.

ومباحث الكتاب تبدأ بـ "سياحة في دور العلم وخزائن الكتب "... والمبحث الثاني للعلوم الدينية التي تناولت الدراسات القرآنية والحديث، والمذاهب الفقهية وعلم الكلام المبحث الثالث : عن اللغة العربية وآدابها في العصر بن الأموي والعباسي ومن اشتهر من الشعراء ،وعلم النحو ،وكيف أن النحاة حققوا نتائج علمية كبيرة في كل من الكوفة والبصرة ؟! المبحث الرابع : تناول العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تلقي الضوء على مراحل تقدم علم التاريخ وعلم الجغرافيا ،وأهمية الرحلة ، والفلسفة العربية ، ومن اشتهر من الفلاسفة في المشرق العربي والغرب.

ثم المبحث الخامس: وفيه بيان ما وصلت إليه العلوم الرياضية (الحساب ،الجبر ، الهندسة ، وعلم المثلثات) وعلم النجوم في الهيئة ،مع الإشارة إلى موضوع تقدم علم الطب والرعاية الصحية ...والإنجازات الكبرى التي حققها العلماء في مجالات: الكيمياء والفيزياء وفنون الميكانيكا.

وتقدم في هذا (المقال) عرضا وتحليلا لأبرز ما في مباحث الكتاب .

[خزائن الكتب]

يشير المؤلف تحت هذا العنوان إلى أن المؤسسات العلمية مثلت محضناً مهماً وواسعاً لتخريج طلاب العلم والفقهاء والأدباء والعلماء ،وشملت المساجد والمدارس والخزانات الكتب والمكتبات والزوايا ، وتنافس الناس في تشييدها ورعايتها ، وصرف الأوقاف عليها ، واجتهد العلماء في إعمارها وإلقاء دروس العلم فيها ، مما مكن المسلمين من إحداث قيم جديدة ، تمثلت في حب العلم والإقبال عليه وارتياد آفاقه.

وقد مثلت الجوامع والمساجد – دور العلم – وفي مقدمتها : الحرمين الشريفين (المسجد الحرام والمسجد النبوي) والجامع الأموي بدمشق ،المسجد الأقصى بفلسطين ، وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع أحمد بن طولون ، والجامع الأزهر ،في مصر...والمسجد الجامع بالقيروان في المغرب العربي ،وجامع القروين بمدينة (فارس) والمسجد الجامع بقرطبة ....وكل هذه الجوامع والمساجد قامت –وتقوم أيضا – بدور بارز ومهم في النهضة العلمية والحركة الأدبية والثقافية النشطة التي شارك فيها عدد كبير من علماء العصر الإسلامي.

كما كانت قرطبة تمثل قطب الرحى في النشاط العلمي باعتبارها حاضرة الخلافة ودار الملك ،فقد حظي جامعها الشهير بمكانة علمية لا تدانى وكان دوره عظيما في ازدهار الحركة العلمية ، حيث فهم بين أورقته في حلقات العلم والدرس ، وكان طلابه يدرسون علوم الدين والأدب والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم (ص 28 من الكتاب)

المدارس العلمية

أما بالنسبة لأهم المدارس المستقلة في الحواضر العلمية في البلاد الإسلامية في العصر الوسيط ، فيشير الكتاب إلى المدرسة النظامية .. حيث يرجع تاريخ إنشاء المدارس إلى العهد السلجوقي ، فالسلاجقة هم أول الذين جعلوا في المدرسة مكانا للصلاة ،إلى جانب كونها مؤسسة علمية لتدريس الدين ، وكانت المدرسة النظامية في بغداد هي أشهر المدارس التي عرفت في المشرق العربي .ثم مدرسة دمشق والحلبية ، والمدرسة النورية ، والمدرسة الظاهرية ،ومدارس حلب بسورية ،ومدارس الصبيان أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي. وهدف هذه المدارس هو تعليم القران الكريم ومبادي الدين الإسلامي عن طريق التلقي المباشر . أما القراءة والكتابة فكانت تعلم للصبيان من خلال دراسة الشعر والأدب ،فهي بمثابة مواد مساعدة للتخصص الرئيس، وكان القران الكريم يعلم تلقينا وذلك صيانة له من التحريف والتصحيف.(ص 42 من الكتاب)

العلوم الدينية

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن العلوم الدينية في العصر الوسيط ، فيبدأ بعلوم القران التي تشمل: علم القراءات، وعلم التفسير، وهو علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ، وأشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور ، المنسوب إلى الصحابي الجليل ابن عباس رضى الله عنه ، وجامع البيان في تفسير القران ، (للطبري) ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (للطبري) ،والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (لابن عطية) والذي يقع في عشر مجلدات ... وتفسير القران العظيم ، "لابن كثير " ...وغيرها .

في مجال علم الحديث النبوي ،الذي يتناول ما روي عن الرسول صلي الله عليه وسلم ، من أقواله وأفعاله وتقريراته ، يشير الكتاب إلي أنه ظهر علم الحديث – عند ما ظهرت الحاجة إلي تدوين الأحاديث النبوية ، فقد كان الاعتماد في روايته – أول الأمر– علي ما كان يحفظه الصحابة رضوان الله عليهم . وقد أذن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لبعض الصحابة أن يكتبوا الحديث الشريف عنه ، مثل عبدالله بن عمرو بن العاص ..حيث قال صلي الله عليه وسلم لعمرو بن العاص : أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق (ص 85 من الكتاب).

الخلاصة

القارئ لكتاب " الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية خلال العصر الوسيط " للدكتور نواف الجحمة .. يمكنه أن يخلص إلي جملة نتائج من جراء الغوص في معالم التاريخ والحضارة الإسلامية في تلك الفترة ومنها:

–1 لقد اسهمت المجالس العلمية التي كانت تعقد بالجوامع وقصور الأمراء ومنازل العلماء وحوانيت الوارقين في إيقاد جذوة النهضة العلمية، فكثر الفقهاء والأدباء والوعاظ في الحواضر العلمية خاصة في الجوامع المعروفة والمدارس النظامية. وتجلت ظاهرة الاهتمام بالكتب وإنشاء الخزائن المكتبية في صورة قلما نجد لها نظيراً وبخاصة في عصر الخلافة العباسية (هارون الرشيد، والمامون نموذجا).

–2 ففي ميدان العلوم الدينية (العلوم القرآنية، الحديث، الفقه) نبغ الكثير منهم ممن لا تزال آثارهم العلمية تحوز علي إعجاب المسلمين إلي يومنا الحاضر. وفي ميدان الأدب واللغة كان للعرب إنتاج أدبي رفيع، ادرك في القرن الرابع الهجري/1، أي في عنفوان العصر العباسي أوجه كمالها، وقد وصف فيكتور ببرار اللغة العربية في ذلك العصر بانها: " أغني وأبسط وأقوي وارق وامتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة"

–3 شكل العرب والمسلمون خلال هذا العصر حلقة الوصل بين القديم والحديث فحافظوا علي أروع ما في التراث القديم وأضافوا إليه خلال سبعة قرون من الازدهار الحضاري ما تجمع لديهم من العلوم الإنسانية والذخائر المعرفية. فظهر منهم عدد كبير من أعلام العلماء في مختلف أفانين المعرفة ممن يفخر بهم التاريخ العربي الإسلامي.

–4 ومن الحق أن نقول إن أمة الإسلام تميزت في الجوانب العلمية علي كثير من الأمم في تلك الفترة التاريخية. فقد قطعوا أشوطاً مهمة في ميادين العلوم الرياضية والطبيعية. واقتربوا كثيراً من بعض الحقائق العلمية. ولعلهم أصحاب الفضل الأول في وضع الطريقة العلمية والمنهج التجريبي، فقد سبقوا في ذلك الكثير من علماء النهضة الأوربية. والكتاب في النهاية دراسة علمية تاريخية تضيف جديداً للمكتبة العربية والإسلامية.

بريطانيا تتخلص من «الكوربنية»

وُصف فوز حزب المحافظين البريطاني في الانتخابات العامة التي أجريت الأسبوع الماضي بأنه «زلزال» و«انتصار» من نوع مختلف. ونظرا لأن الحزب فاز بأول أغلبية برلمانية منذ ثمانينات القرن الماضي، فقد تبدو الانتخابات بمثابة انتصار لزعيمه رئيس الوزراء بوريس جونسون. ومع ذلك، فإن وصف «زلزال» يعد وصفا دقيقا حال طبقت على أداء حزب العمال المعارض.

ومع ذلك، فإن التدقيق في النتائج قد يعطي صورة أكثر دقة أو على الأقل صورة أقل تشويشا. من ضمن أكثر المقالات التي ركز عليها المعلقون تلك المقالة عن التحول الهائل للعديد من الدوائر التقليدية الداعمة لحزب العمال إلى حزب المحافظين، حيث يسأل النقاد: كيف قرر الناخبون الذين لم يصوتوا مطلقا لحزب المحافظين أن يمنحوه أصواتهم بعد أجيال من الارتباط بالاشتراكية؟

ما يتجاهله النقاد هو أن جميع تلك الدوائر الانتخابية صوتت بالفعل للمحافظين عام 2016 عندما صوتوا لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وبعبارة أخرى، فعندما صوتوا لحزب المحافظين في الانتخابات العامة كانوا يؤكدون بذلك تغيير ولائهم السابق. فقد خسر حزب العمال دائرة واحدة فقط صوتت ضد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وهي دائرة «كينسينغتون» في لندن، لصالح حزب المحافظين. ومع ذلك، فقد فازت دائرة أخرى، وهي دائرة «باتني»، أيضا في لندن، والتي صوتت في صالح البقاء في الاتحاد الأوروبي.

فهل كانت انتخابات الأسبوع الماضي بمثابة إعادة استفتاء على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي؟ ليس بالضبط. فقد حصل التصويت المؤيد لـ«بريكست»، الذي تزعمه حزب المحافظين، على حوالي 46 في المائة من الأصوات مقابل 52 في المائة في الاستفتاء الأصلي حول هذا الموضوع. بعبارة أخرى، إذا ركزنا فقط على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فإن عددا ضئيلا من الناخبين ساند الخروج من الاتحاد الأوروبي هذه المرة.

إذا نظرنا إلى ما وراء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فإن إحدى السمات الرئيسية للانتخابات ربما تكون الرفض الدراماتيكي من قبل ناخبي حزب العمال وزعيمه الحالي جيريمي كوربن. كان أداء الحزب هو الأسوأ منذ ثلاثينات القرن العشرين. وإذا كانت استطلاعات الرأي العام بالفعل موضع ثقة، فإننا نقول إن زعيمه هو الأكثر بغضا من قبل الجماهير منذ جيمس رامزي ماكدونالد، الذي ترأس حكومة حزب العمال لمدة تسعة أشهر عام 1924.

ومع ذلك، فإن إلقاء اللوم على كوربن باعتباره سياسيا متواضعا لا يزيد نشاطه عن الحركات الطلابية في حقبة الستينات قد يكون غير مبرر.

إن رد كوربن المتناقض على المخادعات المعادية للسامية في حزبه ومغازلته السابقة للجيش الجمهوري الأيرلندي و«علاقاته الأخوية» مع «حزب الله» وحركة «حماس»، ومسيرته الممتدة لعقد من الزمن كمعلق في تلفزيون «الحرس الثوري» الإسلامي الناطق باللغة الإنجليزية، ومناهضته الشديدة للولايات المتحدة ومعارضته لحلف «ناتو» وكراهيته لإسرائيل ، جميعها أسباب لعدم الثقة به كرئيس وزراء لديمقراطية غربية كبرى.

ورغم ذلك، فإن إلقاء اللوم على كوربن باعتباره السبب الوحيد لانهيار قاعدة دعم حزب العمال قد لا يعطينا الصورة الكاملة. فلطالما كانت النسخة البريطانية من الديمقراطية الاجتماعية التي يمثلها حزب العمال لاعبا رئيسيا في سياسة ذلك البلد منذ الثلاثينات. ولكن في ظل كوربن، بدا أن الحزب يعيد تعريف نفسه كحركة راديكالية عانت مما وصفه لينين عام 1918 بـ«الاضطراب الطفولي». في الخطاب الجديد الذي روّج له أنصار كوربن بوصفه نسخة جديدة من الصراع الطبقي، هذه المرة بسبب حرب الأجيال، حلت الأجور ومستويات الدخل محل الإصلاح الإصلاحي التقليدي، أو بحسب النقاد، محل النهج الإداري للحزب في السياسة. قسّم مؤيدو كوربن المجتمع إلى ثلاث فئات: كتلة الفقراء، والأقلية الضئيلة للأغنياء المذمومين بوصفهم «مليارديرات»، وقد وضع أنصار كوربن أنفسهم في الوسط بوصفهم منقذين للفئة الأولى ومعاقبين للفئة الثانية.

لم يدركوا أن «فقراءهم» قد لا يعتبرون أنفسهم معوزين في حاجة إلى المنقذين الستالينيين الجدد، وأن العديد من الناخبين السابقين من ذوي الدخل المتوسط من حزب العمال قد يستاؤون من أن يصنفوا مع «الأثرياء الشريرين» لمجرد أنهم عاشوا حياة مريحة. علاوة على ذلك، فإن هذا التصنيف قد غاب عن جانب كبير من السكان المعروفين بأنهم بالكاد يتدبرون أمور حياتهم المعيشية.

على الرغم من إدانته «للاضطراب الطفولي»، ربما كان لينين نفسه هو الأب لشكل عام من اليسارية يعامل المجتمع كصفحة بيضاء يمكن للنخبة الصغيرة من الثوريين أن يرسموا فيها رؤيتهم لمجتمع مثالي. قبل الاستيلاء على السلطة في عام 1917، صاغ لينين العديد من المقالات والمنشورات ضد الديمقراطيين الاشتراكيين الإصلاحيين، ولا سيما النمساوي كارل كاوتسكي والبروسي فرديناند لاسال، متهما إياهم بتخريب فرص العاملين في الحصول على السلطة السياسية وتغيير المجتمع.

من خلال قوله المأثور «أفضل قليلاً لكن أفضل»، ركز لينين على «الولاء الطبقي» و«النقاء الأيديولوجي» حتى لو كان ذلك يعني جذب عدد أقل من الناس للحزب.

أظهر القرن التالي أن لينين كان مخطئاً، وأن كاوتسكي ولاسال على حق. منذ ذلك الحين، لم يفز حزب لينيني واحد بانتخابات ديمقراطية في أي بلد، بينما تناقسم الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية السلطة في جميع الديمقراطيات الغربية تقريباً وبعض الدول الأخرى. حتى الحزب الديمقراطي الأميركي، على الرغم من أنه ليس اشتراكيا، فقد اعتمد جوانب اشتراكية كاوتسكي على الأقل في بعض المناسبات. في بريطانيا نفسها، ظل حزب العمال، في نسخته الديمقراطية الاجتماعية، في السلطة لربع قرن من الزمان تقريباً.

كانت الديمقراطية الاجتماعية سمة أساسية للحياة الغربية منذ سلسلة الثورات التي بدأت عام 1848 على الرغم من فشلها على المدى القصير في تأمين السلطة، لكنها غيرت المشهد السياسي في أوروبا. فقد أصر كاوتسكي ولاسال على أن هدف الديمقراطية الاجتماعية يجب أن يكون الفوز بالحجة السياسية عن طريق إقناع عدد كاف من الناخبين بتفضيل هذا الخيار في صناديق الاقتراع. وفي وقت لاحق، أدان أنطونيو غرامشي، الماركسي الإيطالي الجديد الذي أدان بعض أنصار كوربن بوصفهم خائنين لأبناء جلدتهم، وهو الاعتقاد الذي تحول الى طريقة للعمل السياسي.

لقد أدركت حكومات حزب العمال البريطاني المتعاقبة أن معاملة الناخبين على أنهم مجرد أشياء عناصر لتصميم مسيحي لن تؤدي أبدا إلى وصول الحزب إلى السلطة. لكن من خلال تبني نهج براغماتي نجحت الحكومات العمالية المتعاقبة في إدخال إصلاحات لم تحققها أي من الأحزاب اللينينية.

كان إنشاء «هيئة الصحة الوطنية» التي تحولت الآن بمثابة «دين علماني» للبريطانيين، وتأسيس حلف «ناتو» على أساس ميثاق الأطلسي، وبدء إلغاء الاستعمار وتشكيل الكومنولث البريطاني.. من بين الإنجازات الأولى للديمقراطية الاجتماعية البريطانية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

في الستينات من القرن الماضي، جاء إرساء الديمقراطية في التعليم العالي عن طريق إنشاء العشرات من الجامعات الجديدة وإلغاء عقوبة الإعدام وإزالة القيود الاستعمارية المتبقية. شهدت الفترة ما بين عامي 1997 و2010، التي تعد أطول فترة حكم لحزب العمال، إدخال حد أدنى للأجور، ونهاية «الاضطرابات» الأيرلندية، وتفويض حكومات اسكتلندا وويلز وأيرلندا الشمالية، ومنح الحقوق القانونية المتساوية للمثليين والمثليات، واستقلال بنك إنجلترا.

بذل كوربن وزملاؤه كل ما في وسعهم لتدمير الديمقراطية الاجتماعية البريطانية. ومع ذلك، أشك في إمكانية نجاحهم. في عام 1997، لقي حزب المحافظين هزيمة أكبر حيث فاز بـ165 مقعدا مقارنة بـ203 مقاعد لحزب العمال الأسبوع الماضي.

إن جمال الديمقراطية هو أنه لا يوجد شيء لا رجعة فيه. ومع ذلك، تحتاج الديمقراطية إلى معارضة قوية. وكلما أسرع كوربن وأنصاره بالتراجع كان ذلك أفضل للديمقراطية في بريطانيا.

أمير طاهري
عن «الشرق الأوسط»

نافذة جامعية

القواعد الأخلاقية و القانونية

قواعد الاخلاق ليس بعيدة في مضمونها عن قواعد القانون، فالأولى عبارة عن مبادئ ومعايير سامية تضبط سلوك الانسان، والقانون يحمل نفس الغاية في تنظيم السلوك، وهناك مميزات لكلا الأمرين، فالقواعد الأخلاقية تتميز بأن مصدرها من الاعتقاد الديني ومناهج الفلاسفه لضبط سلوك الفرد للوصول الى مجتمع فاضل وأغلب القوانين مستنبطة تشريعاتها من الأخلاق. بالإضافة إلى أن القواعد الأخلاقية غايتها السمو بالفرد والجماعه للوصول الى تحقيق الكمال عن طريق تهذيب الشعور العام، وهو ما يسعى إليه المشرعون في تشريعهاتهم في سن القوانين أيضا، بينما الجزاء المترتب على مخالفة قاعدة من قواعد الاخلاق يختصر على الجانب المعنوي ، بينما القانون يشمل الجانبين المعنوي و المادي، واخيرا من حيث دائرة تنظيم الاخلاق تتسع لتشمل واجبات الانسان نفسه وواجباته نحو افراد المجتمع ، والقانون هو النبراس الذي تستظل الأخلاق في ظلها.

شيخة الهاجري
كليه الدراسات التجارية / تخصص القانون